محمود يعقوبي :

لا يمكن الحديث عن موضوع الكتابة الفلسفية في الجزائر دون الإشارة إلى واحد من أبرز رجالاتها ، و رائد من أشهر روادها ، و نقصد به الأستاذ الدكتور محمود يعقوبي (1931) الذي يعد من أغزر أساتذة الفلسفة إنتاجا في الجزائر ، فإذا اعتبره البعض شيخ المنطقيين العرب ، فإننا نعده أب الفلسفة في الجزائر ، حيث " يعود إليه الفضل في وضع لبنات البناء العقلي الفلسفي في الجزائر ، ذلك لأنه ولج مجالا كانت الفلسفة فيه تعاني إما من الجهل بها لغرابتها في مجال ثقافي محدود ، و إما انسلابها لأنها تقدم من منظور أجنبي لقلة قليلة ، منبتة ، لا تملك إنتماء حضاريا ، و لا قبولا لدى الأصول الفلسفية " [1]

و يمكن تحديد مجالين كبيرين إستحوذا على إهتمامات الاستاذ محمود يعقوبي ، ووجها كتاباته التي بلغت الثلاثين ، وهما مجال المنطق و فلسفة العلوم ، و مجال الدرس الفلسفي.

لقد كان اهتمام أستاذنا بالمسائل المنطقية واضحا ، و يمكن أن نشير في هذا الإطار إلى كتابيه " دروس المنطق الصوري " ، و كذا كتاب " المنطق الفطري في القران الكريم" و اللذان يعدان أول ما كتب في هذا المجال عندنا في الجزائر، يضاف إلى ذلك عددا معتبرا من الكتب التي قام بنقلها إلى اللغة العربية ، و منها " المنطق الصوري" لجول تريكو ، و " المدخل إلى المنطق المعاصر " لروبير بلانشي ، " فلسفة المنطق" لدوني فرنان ، وغيرها من أمهات الكتب المنطقية .

و نعتقد أن اهتمام الدكتور يعقوبي بهذا المجال نابع من قناعته بأن المنطق آلة الفلسفة ، لذلك كان عليه شرحه و تبسيطه للمتعلمين كممهد ضروري لتلقينهم مبادئ الفلسفة .

أما الكتب المخصصة للدرس الفلسفي ، فهي كثيرة ومهمة ، منها " الوجيز في الفلسفة " " المقالة الفلسفية " "أصول الخطاب الفلسفي " و غيرها ، و قد كان هدف الأستاذ يعقوبي من وراء هذا الجهد المعتبر هو " تكوين نشء متشبع بروح النقد ، و مؤمن بحرية الفكر و بقدرة العقل على محاورة نفسه في حركته الجدلية المستمرة الساعية في طلب حقيقة متجددة المظهر دوما "[2]

إن الهدف القريب الذي دفع الأستاذ يعقوبي إلى الكتابة في مجال الدرس الفلسفي هو سد الفراغ الرهيب المسجل في مجال الكتاب الفلسفي المدرسي ، خاصة بعدما تم تعريب دراسة الفلسفة في نهاية الستينيات ، أما الهدف البعيد فتمثل في سعيه إلى " إيقاظ عقل الناشئة من سباتهم ، فأدخل في عقولهم جرعة

فلسفية على قدر عقولهم ، فكان كتابه القيم الوجيز في الفلسفة ثم ألحقه بكتب فلسفية شبه مفصلة للموجز ، فكان كتابه في النصوص الفلسفية ، ثم معجم الفلسفة ، ثم المقالة الفلسفية ، إنها – كما ترى – كتب تصب في وعاء واحد ، هو تكوين الملكة العقلية الفلسفية ، و إيقاظ العقل الفتي من سباته ، و بعثه في رحلة مع أقطاب الفكر الفلسفي "[3].

و بهذا كان للأستاذ يعقوبي أثرا بالغا في دارسي الفلسفة و مدرسيها في الجزائر ، سواء أولئك الذين احتكوا به مباشرة ، أو أولئك الذين تتلمذوا على كتاباته ، ف " لا أظن أي دارس للفلسفة ببلادنا إلا و للأستاذ منة عليه ، و تلمذة على يديه ، إما عن كثب و إما عن كتب " مثلما يقول أحد الزملاء [4] .

النقد التربوي عند الأستاذ محمود يعقوبي :

لم تقتصر مساهمة أستاذنا على مجال تأليف الكتب الدراسية الموجهة للرفع من مستوى التحصيل العلمي للمتعلمين فحسب ، بل عمد من خلال المقالات التي كان يكتبها في المجلات العلمية المختلفة إلى نقد الواقع التربوي ببلاده التي أمضى كل حياته في خدمتها ، فلم يكن أستاذنا راضيا على واقع التربية و التعليم عموما ، و واقع الفلسفة و تدريسها خصوصا .

لقد انتقد معرب الفلسفة وضعها في المنظومة التربوية ، و استهجن الاستهانة بها ، و دعا المسؤولين إلى وضعها في المكانة اللائقة بها ، و الإيمان بدورها في منح المتعلمين روحا نقدية و ملكة عقلية متفتحة ، و لن يكون ذلك ممكنا في نظر الدكتور يعقوبي إلا من خلال توجيه أفضل الطلبة لدراستها ، خاصة ذوي التوجهات العلمية .

كما إنتقد تدني المستوى المعرفي و المنهجي و اللغوي و المنطقي لدارسيها و مدرسيها على حد سواء ، لأن ذلك من الأسباب التي أدت إلى تراجع دورها داخل المنظومة التربوية ، و داخل المجتمع برمته .

و لم يقتصر نقد الدكتور يعقوبي على الجوانب البيداغوجية البحتة ، بل إمتد إلى نقد التوجهات و الأهداف العامة للمنظومة التربوية برمتها ، و خاصة مسألة ديمقراطية التعليم التي كان لأستاذنا رأيا متميزا فيها .

فديمقراطية التعليم و مجانيته كانت ضرورة ملحة إقتضتها الحاجة الملحة إلى ملء الفراغ في هياكل الدولة بعد الاستقلال ، كما أنها حق طبيعي و شرعي للأفراد ، لكن ما يعيبه الأستاذ يعقوبي عليها هو

الانحراف عن المسار الطبيعي و عنايتها بالكم على حساب الكيف ، أن " المقاصد السياسية و التباهي بالإنجازات الاجتماعية قد جعت الدولة من خلال الحكومات المختلفة التي تناوبت على سدة الحكم ، تهتم بالأرقام الضخمة في عدد مؤسسات التعليم و المنتمين إليها في جميع مؤسسات التعليم ، و قد حال ذلك بينها و بين الانتباه إلى مراعاة حقوق الدارسين في احترام قدراتهم الطبيعية التي تختلف من فرد إلى أخر " [21] ، فأصبح التساوي في الحقوق تساويا في الاستحقاق ، و هو ما أفقد التعليم روحه و معناه.

و الملاحظ من كل ما عرضناه عن الأستاذ يعقوبي قربه و ارتباطه المتين بالشأن التربوي الوطني ، و قد ساعده في ذلك حسه الفلسفي و التربوي الشديد الذي كان خلاصة لسنين طويلة قضاها أستاذنا– أطال الله في عمره – بين التدريس و التفتيش و التأليف